البناء
السنة السابعة / الأربعاء / 6 كانون الثاني 2016 / العدد 1973
Seventh year / Wednesday / 6 January 2016 / Issue No. 1973

ليبيا والأمم المتحدة: حلول افتراضية

■ حميدي العبدالله

بعد توقيع اتفاق الصخيرات في المغرب تراءى للكثيرين أنّ الفوضى المسلحة في ليبيا أوشكت على نهايتها وأنّ الاتفاق سيضع حداً لها، ويكرّس تقاسم القوى الفاعلة الليبية ومن يقف وراءها السلطة، وتوحيد جميع الأطراف في مواجهة تنظيم داعش الذي سيطر على مناطق واسعة من الأراضي الليبية.

لكن تبيّن لاحقاً، من خلال ردود فعل الطرفين الرئيسيّين المتقاتلين في ليبيا، أنّ الاتفاق لم يحظ بموافقتهما، وأنّ الاتفاق فعلياً هو بين ممثلي الأمم المتحدة وبعض السياسيين الليبيين الذين لا يمثلون أيّ وجود على الأرض. وقد أعلن ممثلو القوى المتصارعة الليبية أنهم يريدون تعديل هذا الاتفاق، ولكن ممثل الأمم المتحدة قد رفض ذلك بقوة، وهذا يعني بصراحة أنّ الاتفاق الذي حظي بتغطية إعلامية واسعة، كان اتفاقاً افتراضياً وليس اتفاقاً حقيقياً، وبالتالي الفوضى المسلحة في ليبيا لا تزال مستمرة، ولم يحن الوقت الذي ينعم فيه الليبيون بالأمان والاستقرار.

ولكن لماذا تصرّ الأمم المتحدة على الوصول إلى اتفاقات افتراضية، سرعان ما تنهار عند السعي إلى وضعها موضع التطبيق.

لا شك أنّ ثمة أسباباً فعلية تفسّر ذلك، من بين هذه الأسباب، يمكن الإشارة إلى سببين رئيسيّين، الأول، مستوى الخلاف وتعارض المصالح بين الأطراف الليبية المتصارعة، والقوى الإقليمية الداعمة لكلّ طرف من هذه الأطراف. إذ من المعروف، أنّ تركيا وقطر تدعم طرفاً يمثل «الإخوان المسلمون» أحد أهمّ مكوناته، في حين أنّ مصر تدعم طرفاً آخر ومن الصعب التوفيق بين الطرفين، سواء لأسباب تتعلق بخلافاتهما بحدّ ذاتها، أو بسبب تحالفاتهما الإقليمية وصعوبة التوافق بين مصر من جهة وكلّ من تركيا وقطر من جهة ثانية، السبب الثاني أنّ الأمم المتحدة في غالب الأحيان لا تسعى إلى أخذ مصالح القوى المحلية بالدرجة الأولى في عين الاعتبار عند صياغة اقتراحاتها للحلول، بل تسعى إلى تغليب مصالح الحكومات الغربية التي تعتبر المحرك الفعلي للصراعات في ليبيا، وهي التي لعبت الدور الأكبر في إسقاط الدولة الليبية، وإيصال ليبيا إلى ما وصلت إليه الآن.

ولأن ممثلي الأمم المتحدة يغلّبون مصالح الحكومات الغربية على حساب الليبيين من جميع الأطراف لذلك تكون عادة اقتراحاتهم للحلول مرفوضة من جميع الأطراف، وهذا ما حدث أكثر من مرة في ليبيا، فاتفاق الصخيرات الأخير سبقه أكثر من اتفاق كان مصيره الفشل.

قرارات أكبر من مملكة «أوهن من بيت العنكبوت»

تبدو السعودية بالنظر إلى تصعيدها المتتالي في الأيام الماضية تتصرف بروح الانتقام والارتجال وغرور لا يفيد مع سياسة المنطقة المعقدة في شيء، إلا أنّ واقعها، كجزء لا يتجزأ من حلف أميركي - «إسرائيلي» في المنطقة، لا يسمح لها بالتقدم نحو جرأة من هذا النوع منفردة مثل إعدام الشيخ نمر باقر النمر، لا سيما أنها تعرف جيداً تبعاته الكبرى على أكثر من ملف، خصوصاً الفتنة السنية - الشيعية ونسف أي مسعى إلى حلول سياسية قريبة في سورية والعراق واليمن، إضافة إلى علاقة سيئة بإيران.

من هنا فإنّ قراراً استراتيجياً بهذا الحجم يشبه إعلان حرب على محور بأكمله وطائفة بأكملها بتداخلها وتداعياتها، لا يمكن أن يكون مجرد رغبة سعودية بالانتقام، بل هو واحد من ترجمات الأهداف الأميركية لغزو الإرهاب البلاد العربية من أجل تحقيق فتنة سنية - شيعية تقود إلى التقسيم وهو الذي لم يتم حتى الساعة، وفق الساعة الأميركية لأنّ واشنطن لم تنجح في ذلك لما شهدته من مقاومة شعبية ورسمية من دول المنطقة التي تعتبر حجر أساس استقرارها ورسم استراتيجياتها وأبرزها سورية في بلاد الشام واليمن في الخليج. من هنا فإنّ محاولة بثّ فتنة من العيار الثقيل تنطلق من السعودية هي هدف أميركي غير معلن أولاً وأخيراً، وعلى هذا الأساس رحبت واشنطن بقرار الإعدام قبل أي شيء.

لا يمكن أن تصل قدرة السعودية اليوم إلى مستوى تحدّي دول كبرى مثل الولايات المتحدة وروسيا وتصرفها كالولد الطائش المستعد للعبث بكلّ الأوراق المركبة في المنطقة من دون استشارة الحليف الأساسي، ولا يمكن أن تأخذ على عاتقها إفشال المخططات التسووية لمجرد أنها تريد الردّ على هزائمها في سورية أو اليمن، وهنا مناسبة تتضحّ فيها مراوغة الدول الكبرى في مسائل الحلول السياسية لأنه لو كانت هناك نوايا جدية لما سُمح لأنف السعودية أن يتخطّى رغبة أسياده الأميركيين.

ليست الإدارة السعودية اليوم إلا دمية تحاول الادعاء بالتماسك، بينما كلّ قراراتها تُدار مباشرة من البيت الأبيض بشكل بديهي، فمع شيوع أجواء التوتر بين أفراد العائلة المالكة من أمراء ومستشارين ووزراء، يُلاحظ أنّ الواجهة السياسية السعودية التي تحرص واشنطن على صورتها تمّ تلميعها طبقاً لرغباتها فهناك بالتأكيد من قرّر الأخذ بيد الملك سلمان بعد وفاة الملك عبدالله وكان وفد أميركي رفيع المستوى جاء للتعزية ونسج عهد جديد من التفاهم حينها مع سلطات الرياض، حمل معه خبراء واستراتيجيين ورجال أمن. ولدى وفاة الأمير وزير الخارجية السابق سعود الفيصل عينت واشنطن فوراً عادل الجبير الذي خدم سفيراً لديها سنوات طويلة، وبالتالي فإنّ خلافات العائلة الماكلة شيء والحفاظ على واجهة الموقف السياسي وشخصياته شيء آخر. ومن هنا فإنّ كل السياسة وممثليها هم أبناء واشنطن ممن عاشوا وسكنوا أو فتحوا علاقات مباشرة معها ومن بينهم ولي العهد محمد بن نايف أيضاً.

قرارات استراتيجية أكبر بكثير من السعودية تحسب فيها واشنطن حساباً دقيقاً في إزعاج روسيا والكسب في هذا عبر التضييق على حلفائها، فلا يجب إضاعة البوصلة في مملكة أوهن من بيت العنكبوت.

«توب نيوز»

لا تسوية رئاسية في لبنان

- كان الموقف متروياً وهادئاً من جانب حزب الله تجاه مشروع تسوية رئاسية قوامها تسمية الحليف للحزب وسورية النائب سليمان فرنجية لرئاسة الجمهورية وراءها سعد الحريري.
- وضع الحزب الأمر بهدوء بين اثنتين كونها مشروعاً جدياً بدعم سعودي لحلحة داخلية تتماشى مع مناخ التسويات، أو لغم مفخخ ضمن مشروع تفجير ضدّ الحزب.
- قال حزب الله لحليفه فرنجية فليعلن الحريري الترشيح وبعدها نقول رأينا فتهرّب الحريري.
- قامت السعودية بتصنيف حزب الله على لوائح الإرهاب فصمت الحريري.
- منعت «المنار» عن البث على قمر «عربسات» بقرار سعودي فواصل الحريري الصمت.
- قال حزب الله لا رئاسة بلا سلة متكاملة أساسها قانون الانتخاب فتراجع الحريري.
- قال حزب الله ترشيح عون أساس الموقف من الرئاسة ولسنا من يطلب منه سحب ترشيحه فعرف الحريري أنّ الطبخة قد كشفت.
- خذوا رئاسة بلا صلاحيات لحليفكم واعطونا الحكومة والأغلبية النيابية والحكومية لنحكم البلد، صفقة مرفوضة.
- صعّدت السعودية في سورية، وأعدمت الشيخ النمر، فتأكد حزب الله أنّ التسوية مناورة.
- قال الحزب كلمته... لا للتسوية.

التعليق السياسي

مملكة الشر الديكتاتورية الدينية الأسوأ عبر التاريخ...

محمد ح. الحاج

أسقط آل سعود تقيّتهم فأسفروا، لم يحافظوا عليها تجاه العروبة، ولا تجاه الإسلام، ويبدو أنّ جيل الشباب الحاضر منهم مصاب بعمى البصيرة، وقد يكون الغرور مركبهم، وما دفع بهم إلى هذه الحال إلا الصلف وكثرة المال والاعتقاد بأنهم أصبحوا فوق المساءلة في الحياة الدنيا، ولأنهم لا يؤمنون بما يُقال عن الآخرة... الإنسانية لا تدخل في قاموس بداوتهم، وكل مصطلحات البشرية الأخرى من حرية الفكر والتعبير، أو الديمقراطية وكل الحقوق المتفرّعة عنها لا تعني لهم شيئاً، وربما أيقنوا أنهم يمثلون الله حقاً. تماماً كما فعل رجال الكنيسة في عصور الظلمة الأوروبية.

ربّ قائل إنّ ما سأقوله نابع من كراهية شخصية، وهذا أبعد ما يكون عن فكر المحلل العاقل لأنّ ما أورده موثق وقد سجله التاريخ وهو متداول وإنْ على نطاق ضيّق، أو لأنه قيد التعتيم بسبب المصالح الدولية التي تتجاوز وجودهم الوظيفي «وذكّر... فقد تنفع الذكرى».

النشأة المشبوهة

بريطانيا علة وجود وانتشار هذه العائلة التي نشأت في الجنوب العراقي - الكوت - وتوارد أنهم عائلة من التجار ربما انحدروا من أصول عثمانية أو ممّن أشهروا اسلامهم من يهود الدونما، وفي حديث آخر أنهم من أصول يهودية ومن جزيرة العرب وما قام دليل على ذلك، لكن المؤكد أنّ ظهورهم بدأ في النصف الأول من القرن الثامن عشر في الدرعية، حيث بدأت بريطانيا بإعدادهم وتسليحهم لخدمة مخططاتها في المنطقة العربية ضدّ السلطنة العثمانية، وسجل التاريخ تلك البداية بعد العام 1733 عند ظهور محمد بن عبد الوهاب الوهيبي وأستاذه البريطاني الماسوني هيمفر الذي وجهته بريطانيا فالتحق بآل سعود وهؤلاء استظلوا فتاويه وبدأوا عمليات غزو لقبائل نجد وارتكبوا بحق شيوخها ووجهائها مجازر وحشية بعد أن نهبوا وسلبوا وسبوا... بعدها توجهوا لتطويع الحجاز وكانت بريطانيا تمدّهم بالمال والسلاح عبر بوابات الخليج حيث تتواجد قواتها، فوصلوا البحر الأحمر غرباً وشمالاً، ولم يقفوا عند حدود جزيرة العرب بعد أن قطعوا طريق الحج المصري إذ توجهوا شمالاً عابرين شرق الأردن ووصلت طلائعهم جنوب دمشق عام 1803، وقد توقف زحفهم بعد مجابهة حملة طولون بن محمد علي باشا وبعده أخيه ابراهيم حيث بدأت هزيمتهم فخرجوا من الشام وشرق الأردن ولاحق فلولهم ضمن الحجاز إلى أن استتبّ الأمر لأشراف مكة فيها وعاد القسم الأعظم من نجد إلى أيدي زعماء قبائلها وعلى رأسهم آل الرشيد وكان ذلك العام 1833.

ما كان في الإسلام سنة ولا شيعة، وما كان فرس ولا «مجوس»، إسلام الشام ومصر كان غاية في التسامح والعدالة، وما من مطلق في كلّ شيء، السياسة والأطماع وحدها وليس الدين، كانت الدافع والمحرك لآل سعود ومن خلفهم القوى الاستعمارية في الغرب التي كانت تنتظر وضع اليد على إرث الخلافة العثمانية المتهالكة، لهذا حافظت بريطانيا على وجود كامن لهؤلاء في مخبئهم - الدرعية - لتباشر اتصالاتها بقادة شبه الجزيرة الأصليين، ومعروف للجميع ما يُسمّى بمراسلات حسين - مكماهون (شريف مكة - ورئيس وزراء بريطانيا)، وقد نجحت بريطانيا في دفع العرب لإعلان الثورة على تركيا، وبدأوا الزحف باتجاه بلاد الشام عام 1914 - 1915 في الوقت الذي أيقظت آل سعود لثأرهم الذي ما نسوه من قادة الأشراف «الهاشميّين» والقبائل الذين ساهموا في هزيمتهم قبل نصف قرن، جيوش القبائل العربية بقيادة أشرافها تتجه شمالاً لطرد العثمانيين، وآل سعود يحلون مكانهم منتهزين الفرصة وكان ما سُمّي الغدر البريطاني، مجازر آل سعود بحق القبائل العربية وشيوخها يندى لها الجبين ويخجل منها التاريخ، الذي سجل تشريدهم لآل الرشيد وقبائلهم بعد قتل كبارهم ونهب أموالهم وسبي نسائهم، ورأينا كيف أنّ بريطانيا حاولت ترضية الأشراف بإقطاعهم شرق الأردن إمارة لعبد الله بن الشريف حسين، وتنصيب ملك من أبنائه على الشام - فيصل - وآخر على العراق وسقط مشروع الدولة العربية فكان تقسيم المنطقة طبقاً لمعاهدة سايكس - بيكو، ومنح اليهود «وطناً» في فلسطين، كما استرضوا ورثة الخلافة العثمانية بأجزاء واسعة من الشمال السوري والعراقي، (معاهدة 1920 وما قبلها) ولاحقاً أتبعوها بلواء الاسكندرون عام 1939.

التاريخ الأسود

ثبّتت بريطانيا أقدام آل سعود في الحكم وقد اكتشفت شركاتها مكامن النفط الكبيرة، قدّمت لهم السلاح والأموال على شكل قروض طويلة الأجل، وقبل هذا وذاك حصلت من عبد العزيز آل سعود على تعهّد (نشرت الكثير من وسائل الإعلام صورته) بحماية اليهود المساكين حتى تصيح الساعة، وعدم الخروج على رأي بريطانيا العظمى، ويسري مفعوله على من بعده من الأبناء والأحفاد... وبذلك ضمنت تبعية المملكة لها وأقامت على أطرافها المحميات التي عرفت في ما بعد بالإمارات العربية، وكانت من أكبر القواعد البريطانية في المنطقة قاعدة البحرين، وكذلك قاعدة عدن في ما كان يعرف باليمن الجنوبي، لكن التبعية بدأت تتحوّل إلى الوريث الأكبر، الولايات المتحدة الأميركية بعد اللقاء بين الرئيس الأميركي والأمير السعودي على ظهر طراد أميركي في عرض البحر، إثر ذلك تمّ إعلان المملكة باسم العائلة (1935) وكان أول من اعترف بها الولايات المتحدة التي أجرت سلسلة من الاتفاقيات مع آل سعود، وهكذا انتقل الإرث إلى المالك الجديد.

الشركات الأميركية الكبرى للنفط هي من أصبحت المسيطر بعد تحديد حصة السعوديين كعائلة وليس كشعب، ويقول أصحاب الشركة، نحن اكتشفنا الثروة ونحن من يعمل لاستخراجها، ويكفي أننا نعطي للسعوديين 10% وهي حصة عادلة، حتى هذه النسبة توضع كسندات في الخزانة الأميركية تفقد قيمتها بعد مضيّ عشر سنوات...

الوظيفة الأهمّ لمملكة آل سعود والتي خلافاً لكلّ دول العالم تحمل اسم مملكة لعائلة، هي حماية الوجود اليهودي ومنع قيام جبهة من دول المنطقة للوقوف بوجه توسعهم وسيطرتهم وتحقيق مشروعهم، وعليه يكون من المهام الأساسية منع التقارب بين أيّ من الكيانات العربية وخاصة دويلات بلاد الشام المعروفة باسم سورية الكبرى أو الهلال الخصيب طبقاً لتسمية عالم ألماني، وقد قام هؤلاء الأجراء بواجبهم على الوجه الأكمل فمنعوا عن طريق التحريض والدسائس وشراء الذمم والضمائر واستخدام أموال النفط لمنع أيّ تقارب أو لقاء بين الطرفين المؤهّلين لقيادة المنطقة، وعنيت بهما (العراق والشام) كما لعبت أسوأ الأدوار في منع عودة الأردن إلى الوطن الأمّ، ووقفت مع اجتزاء الاسكندرون والحفاظ على علاقات وثيقة مع التنظيمات التي قامت على قواعد التعصّب الديني وخاصة «الإخوان المسلمين».

موّل السعوديون تنظيم «الإخوان المسلمين» في كلّ من مصر بعد سقوط الملك فاروق، ومع جناحهم في سورية بعد الاستقلال، واستخدموهم ضدّ الوحدة وضدّ عبد الناصر، كما وقفوا بوجه حركات التحرّر في الكيانات العربية الأخرى، وأقاموا علاقات وثيقة مع كلّ من تركيا وإيران الشاه بتوجيه من السيد الأميركي، وكان النظامان يدوران في ذات الفلك.

السعوديون دعموا الملكية المتخلفة في اليمن وحاربوا الثورة الشعبية التي أعلنت الجمهورية، وكان الصدام مع الجيش المصري الذي استمرّ طويلاً واستنزف الشعب المصري.

السعوديون بشخص ملكهم فيصل حرّضوا أميركا لتنتقم لهم من جيش مصر وعبد الناصر (1966) فسمحت للعدو الصهيوني بمهاجمة كلّ من مصر وسورية، واحتلت أجزاء من أراضي الدولتين إضافة إلى استكمال احتلال فلسطين التاريخية (حزيران 1967)، ولم يتمّ الكشف عن ذلك إلا بعد ربع قرن، يوم نشرت الخارجية الأميركية نص رسالة الملك التي وصفها سياسي أميركي بأنها لا تصدر إلا عن ثعلب صحراء وسليل النفط، لخبث ما ورد فيها من تعابير... (مصر عدونا المشترك... حتى لا يرفع جندي مصري رأسه شرق قناة السويس... وأن لا يتمّ استثناء سورية حتى لا تسدّ الفراغ الناجم عن هزيمة مصر... وضرب الفلسطينيين والقضاء على ثورتهم، فيخضعون ولا يجدون من ملاذ سوى الإقرار بالأمر الواقع... وأن تمدّ أميركا البرزاني بالدعم والتأييد حتى لا يتمدّد النظام القومجي في العراق جنوباً فيصل إلى مملكتنا... وأخيراً اسمحوا لنا بأن نعوّض الدولتين المهزومتين بالقليل على قاعدة: ارحموا ذليل قوم ذلّ... فنكسب الشعبين الخ...) وقد حصل أن نال الملك فيصل بعدها لقب الملك العربي «الأصيل» فكيف انطلت الحيلة على قيادتي الدولتين وباقي الدول العربية...؟ أم أنها لعبة السياسة التي يجب أن تنطلي على الشعوب؟

في تصريح لفيصل بن عبد العزيز لوسيلة إعلامية أميركية قبل مقتله قال: نحن واليهود أبناء عمومة، ونطمح للعيش معاً بأمان وسلام، نحن وإياهم من سلالة سام، سندافع عنهم، ولن نسمح لأحد أن يلقيهم في البحر كما يقال...!

مشاركة السعودية في حرب تشرين 1973 كانت بمشورة أميركية، وهي لزوم ما لا يلزم، دافعها الخوف من ثورة داخلية وكانت تمثيلية ناجحة، تساوي مشاركتها في الصراع الشكلي مع الصهيونية... إفراغ الشحنة من الداخل وامتصاصاً للنقمة، وما بدأت مواقفها للظهور الحقيقي إلا في الألفية الجديدة بعد مشروع فهد للمصالحة مع اليهود والاعتراف بدولتهم، وتكرّس الموقف بشكل أوضح في حرب تموز 2006، وبعدها في الهجوم على غزة.

التوظيف السعودي يتوسع اليوم أكثر فأكثر في «شيطنة الإسلام» وجعله العدو الجديد للغرب والعالم، ولتستكمل المهمة لا بدّ من شرخ واسع داخل الإسلام وبين المسلمين أنفسهم، وهو ما بدأت القيام به منذ بداية العقد بعد أن قامت بتنمية الفكر الوهابي التكفيري ونشره في الدول الإسلامية والعالم، والشكل الأوضح لوظيفتها يتجلى في إثارة الحروب الداخلية العربية - العربية، وتكريس المذهبية القاتلة وهذا ما طوّرته في العراق ولاحقاً في سورية ولبنان وما زال، وأيضاً ما تقوم به مباشرة مع تحالف مأجور في اليمن، وأخيراً سقط القناع فأسفر آل سعود عن وجههم الحقيقي بإعدام الشيخ نمر النمر، ليس لأنه إرهابي، وليس لأنه يحرّض على العنف، بل لأنه الشخصية التي قد تدفع بشريحة واسعة من مسلمي العالم إلى النقمة ومحاولة الثأر، ما يشعل حرباً أين منها داحس والغبراء...؟ بذلك تكتمل مهمتهم وتقترب نهاية وظيفتهم.

أن نقول مملكة للشرّ فهي تحمل بين ظهرانيها أفظع الشرور، ماضياً وحاضراً، وأما أنها ديكتاتورية دينية فهي كذلك، ولكن بلبوس الدين وليس من جوهره، فهي خُلقت لنسف الدين من داخله على قاعدة... ادخلوا ديانات الأغيار وخرّبوها من الداخل... وانهم لفاعلون.

هامش: لماذا لا يتساءل رجال الدين عن سبب دعم الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة (الصهيو - ماسونية) لهذه المملكة المتخلفة، وهي الديكتاتورية الأسوأ على وجه الكرة الأرضية؟ أم أنّ جعالتهم المالية كافية لتشبيه الملك بمحمد بن عبد الله (ص) حلماً وفهماً وعدالة...! وأنّ أبناء المملكة ملك له جسداً وروحاً... أيّ مجرّد عبيد.. فهل كان الرسول كذلك؟

الانتفاضة الفلسطينية تكسر التوقعات والمُقاربات والخيارات المشوّهة بلا هوادة!

■ نصّار ابراهيم

انتفاضة فلسطين وشبابها تمضي في طريقها... أربعة أشهر ولم تنكسر الإرادة... بل تواصل كسر التوقعات والمقاربات والخيارات المشوهة وخلط الأوراق وطرح الأسئلة والتحديات الحارقة بلا هوادة...

يواصل الشباب الفلسطيني مقاومته الباسلة وهو يبتسم سخرية من ضحالة التحليلات وغباء التوصيفات ومسخرة التوقعات التي تزدهر في مواسم المؤتمرات وثرثرات الخبراء و«القادة» السياسيين...

كنست الانتفاضة الفلسطينية، بإصرارها ووضوحها وعزيمتها، المقاربات السياسية والسيوسيولوجية والثقافية العقيمة والبائسة... تلك المقاربات التي تحاول، وبدأب، حصر الانتفاضة في زوايا اليأس والإحباط. وكأنّ المقاومة الممتدّة للشعب الفلسطيني وكلّ التضحيات التي قدمها عبر التاريخ هي تعبير عن حالة مرضية أو إحباط نفسي... وبكلمة أخرى هي نوع من «مقاومة» يائسة لشعب مأزوم نفسياً وعاطفياً ويعاني من «الشيزوفرينيا».

للأسف، فإنّ هذا الخطاب تردّده وتؤكده بعض نخب وقيادات وقوى سياسية فلسطينية بوعي أو بدون وعي. وهي بذلك تقف في الخندق المواجه لنضالات شعب فلسطين وشبابه المنتفض...

لهذا بات بمثابة الضرورة الوطنية والسياسية والثقافية إعادة التأكيد والتذكير بالبديهيات التي نسيها أو يتناساها الكثيرون، وهي أنّ هذه الانتفاضة هي، في جوهرها، مقاومة شعب ضدّ احتلال «كولونيالي» عنصري، وهي تعبير ساطع عن مضمون ومحتوى حركة التحرُّر الوطني الفلسطيني. وبالتالي لن توقف هذه المقاومة الباسلة أية رشاوى سياسية أو اقتصادية... إنها حركة شعبية موضوعية وذاتية في مواجهة مشاريع التسوية البائسة التي تجاوزت حقوق الشعب الفلسطيني البديهية في الحرية والاستقلال والعودة...

بهذا المعنى، فإنّ انتفاضة الشباب الفلسطيني هي انتفاضة سياسية ثقافية عميقة ضدّ خيارات سياسية عقيمة وفاسدة في جوهرها وشكلها، وهي أيضاً انتفاضة باسلة ضدّ الممارسة السياسية للعديد من القوى السياسية الفلسطينية التي لم ترتق إلى مستوى قضية فلسطين... بل حوّلتها إلى مجرد ورقة للمساومات الداخلية والإقليمية...

إذن، يجب إعادة توجيه الأسئلة والتحليل باتجاه آخر... بمعنى أنّ المعضلة والإشكالية ليست في عدم وضوح دوافع وأسباب انتفاضة ومقاومة الشعب الفلسطيني... بل في إخفاق القوى السياسية التي لم تدرك أو لا تريد أن تدرك وتعترف بأنها لم ترتق إلى مستوى طموحات وأهداف شعب فلسطين... وبالتالي تواصل الرهان على الخيارات ذاتها التي دفعت بقضية هائلة كقضية الشعب الفلسطيني إلى زوايا أقلّ ما يمكن أن يقال فيها أنها مُهينة... هنا الأزمة... هنا اليأس... هنا الإحباط... وهنا الكارثة...

والمشكلة هنا ليست في ما تحاول بعض المقاربات والخطابات الباهتة الترويج له، بمعنى أنّ الإنتفاضة هي استخدام الاحتلال «القوة المفرطة»... أو الضغوط الحياتية... فكلّ هذا هو أمر طبيعي وأكثر... المشكلة هي في من يرهن تحرُّر الشعب الفلسطيني بحسن نوايا وسلوك الاحتلال... ومن الرهان على «عقلانية» هذا الاحتلال، أو على «حسن نوايا» الحلف الذي يدعم الاحتلال منذ نشوئه وحتى اليوم، هنا المشكلة وليست في احتلال يعبر بالضبط عن طبيعته العنصرية والفاشية والاستعمارية.

وبالمناسبة، تبدو هنا مفارقة غريبة وهي أنّ نخب الاحتلال وقادته يلتقون بصورة ما في مقاربة انتفاضة الشعب الفلسطيني ومقاومته مع بعض المقاربات الفلسطينية القاصرة والخاطئة... فهو أيضاً لم يتعلم الدرس بعد سبعة عقود من الاحتلال والقهر والقمع والمجازر... ودائماً يحيل مقاومة الشعب الفلسطيني إلى عوامل نفسية واقتصادية... ولهذا يصطدم كل مرة بالعجز والفشل في الحفاظ على المعادلات التي حاول ترسيخها باعتبارها ثوابت أزلية.. أساسها الأمن والقوة والسيطرة كشروط للحياة...

لكلّ هذا يقف عاجزاً ومربكاً... ولا يجد أمامه سوى الركض في ذات الدوائر الفاشلة، القتل والمزيد من القتل والحصار والجدران والغطرسة والكذب... ولكن ألم يفشل كلّ ذلك من قبل؟ فعلى أي شيء يراهن هذا الاحتلال يا تُرى؟

أعتقد أنّ رهان الاحتلال يتركز بالضبط حيث على القوى السياسية الفلسطينية

أن تنتبه... إنه يراهن على تعميق الانفصال ما بين المستويات السياسية الفلسطينية وشعبها.. وتعميق التمزيق الجغرافي والسكاني... وإقناع تلك القوى والقيادات الفلسطينية بأنّ هذه المقاومة وهذه الانتفاضة تشكلان خطراً عليها بقدر ما هي خطرة عليه...

وفي هذا السياق، يلحُّ الاحتلال دائماً على مفهوم ويؤكد عليه كلازمة مملة وهي: أنّ هذه الانتفاضة عفوية وليست لها قيادة وهي تشبه ردّ فعل الذئاب المنفردة... كم هو خطير قبول هذا المنطق... لأنه يستهدف تصوير شعب فلسطين وكأنه قطيع منفلت... وتصوير الشباب المنتفض والشهداء على أنهم حالات فردية يائسة لا يجمعها جامع... وبالتالي فإنّ ظاهرة المقاومة هذه سيتمّ وأدها وكسرها عاجلاً أم آجلاً بالصبر والقوة والقتل... لأنها هشّة ولا تملك شروط الاستمرار والبقاء...

هذه النظرة تتجاوز أو لا تريد أن ترى أنّ ما تحظى به الانتفاضة من حاضنة شعبية فلسطينية حاسمة وهائلة، تتخطى كلّ التقسيمات والحدود الجغرافية... الأمر الذي يعبر عن نفسه بجلال في أعراس الشهداء والتضامن الشامل مع العائلات التي تتعرض للتنكيل من قبل مؤسسات وأجهزة الاحتلال.

هذا ما يجب على القوى السياسية الفلسطينية الأصيلة والمقاومة أن تنتبه له... بما يعنيه ذلك من ضرورة توفير شروط الاحتضان الشامل والحقيقي للانتفاضة وشبابها... احتضان سياسي وثقافي ومعنوي وعلى كلّ المستويات... هذه مسؤولية وطنية مقدسة، وهي التي ستقرّر مستقبل ودور أي قوة سياسية فلسطينية في المستقبل...

تبقى كلمة أخيرة.. وهي أنّ استمرار القوى السياسية الفلسطينية الأساسية في التمترس العقيم عند ممارساتها ومقارباتها الضيقة سيضعها في لحظة ما أمام مواجهة ضارية مع أغلبية شعبها ومع أغلبية قواعدها الوطنية الشريفة والمناضلة... لهذا عليها أن تتجاوز لحظة العجز والارتباك والرهانات الفاشلة من خلال الاتفاق السريع على استراتيجية وطنية أساسها مواصلة عملية التحرُّر الوطني، وفق شروط الثورات وشروط تحقيق الانتصار بكلّ ما يتطلبه ذلك من تجديد للذات ووحدة وطنية وتحالفات قومية وأممية وسياسات اجتماعية واقتصادية هدفها الوحيد حماية مقاومة الشعب الفلسطيني وتعزيزها وتطويرها وحماية حقوقه الوطنية حتى تحقيق الحرية ودحر الاحتلال.

الإعدام الطائفي... ثقافة التكفير الوهّابية

■ شهناز صبحي فاكوش

تلطت الأيدي المتوضِّئة إثماً بالدماء تحت عباءة الإسلام البريء منها، ادّعت أنها تطبّق شرائعه! لكنها في الحقيقة تمارس الإقصاء التكفيري. تحتضن الإرهاب الذي صنعه مشغلها وأناط بها مسؤولية نشره ودعمه حفاظاً على عرشها الممنوح لها.

مملكة التكفير الوهّابية، تنشر ثقافة القتل وتدمير الحضارات، لأنها بلا جذر ولا حضارة. تدرّسها لأجيال هيمنت على مجتمعها بقوة القرار البريطاني، الذي منحت بموجبه أرض فلسطين لصالح صهاينة العالم. كما استلبت بلاد الحجاز لصالحها.

تفرعنت وتضخّمت، لتبدو وكأنها تتمرّد على المُشغِّل الأميركي الذي تأتمر منه بالتبعية، معللاً إياها أنها محرك الرأي العربي، وأنها الأقوى لتغيير ما تشاء حتى تسرطنت أناها، وبدأت تمارس الإرهاب المنظم كما أولاد عمّها الصهاينة.

يشرِّعون قوى، ينتهكون بها حرمة اليمن بلا مبرِّر، يحاولون تدمير سورية بسيناريو استعماري، تصدّروا له بحجة نصرة الإسلام. بدّدوا أموال النفط في بلادهم ما أفقر شعبهم، مقابل تسديد فواتير حرب بالوكالة على سورية لتفكيكها.

يحاولون تحطيم دولة هي الشوكة الوحيدة في حلق الصهيونية، الحافظة الوحيدة للقومية والهوية العربية، ورافعة الكرامة الإنسانية، حاضنة المقاومة القوة الوحيدة المواجهة للكيان الصهيوني. لم تُهادن المحتل ولم ترتبط معه برسن اتفاقية أو معاهدة.

ما الفرق بين ملوك الرمال و«داعش» والتيارات الإرهابية وبني صهيون، والجميع ديدنهم القتل والتدمير،المنشأ واحد، والمشغل ذاته، والمستهدف واحد، هو المنطقة العربية بجميع مكوناتها، لخلخلة أنظمتها الجمهورية، وتفتيت شعبها وإشعالها بالفتنة؟

الجميع يُمارس القتل والإرهاب المنظم والعشوائي ويحمي مرتكبيه ومنفذيه. والحجج جاهزة في المطبخ الوهّابي التكفيري والأردوغاني الطوراني. مناهضة ولي الأمر، أو التحريض ضده، ما يقتضي القصاص الذي يجزّ الرؤوس بسيف «داعش» وبني وهّاب.

مملكة الرمال تعدم سبعاً وأربعين من المناهضين لحكام بني سعود، على رأسهم الشيخ النمر بحجة الخروج على طاعة الولي، وفق القانون كما يدّعون، وهم لا قانون لديهم، دولة بلا دستور بلا قانون، تدّعي أنها تنفذ القصاص، وفق الشريعة.

دعمهم الإرهاب في سورية، لتغيير النظام لم يدخل ذمتهم في خانة الخروج على طاعة الولي. علماً أنّ الشيخ النمر كان مناوئاً لسورية، لعلّ ذلك لم يشفع له عند مجرمي الحرب ضدّ سورية.

يتساءلون لماذا يتخذ العالم موقفاً لأجل مواطن سعودي نال قصاصه لأنه خرج على طاعة الولي، الأمر ليس لأجل رجل عادي. الرجل شيخ إسلامي وعالم ديني له مكانته الدينية. يطالب بحقوق مهدورة للشعب الذي ينتمي إليه.

يعلم حكام بني سعود أنّ قتل الشيخ النمر تسييس يؤدّي إلى إثارة فتنة، ولكن لماذا بعد زيارة أردوغان للسعودية، وإقامة تحالف استراتيجي الطرف الثالث المخفي فيه «إسرائيل»، بتصريح أردوغان أنه لا غنى لـ«إسرائيل» عن تركيا ولا غنى لتركيا عنها؟

لماذا تصعِّد السعودية أمر مقتل النمر وتسارع إلى قطع العلاقات الديبلوماسية، في حين أنها لم تتحلّ بضبط النفس عندما انفعل الشارع الإيراني وتظاهر ضدّ إعدام الشيخ النمر فأحرق السفارة الأميركية، كما فعلت إيران عند الهجوم والاعتداء على سفارتها في لبنان؟

لماذا يُعدم النمر في هذا التوقيت حيث تفصلنا أيام عن الجلوس على طاولة مفاوضات حلّ الأزمة السورية، وإيران والسعودية معنيتان بها؟ أسئلة تنمُّ عن تبييت مخطط لنسف الحلّ السياسي لأزمة سورية ولتشويه صورة إيران، ونعتها بالطائفية.

السؤال الأكبر، تاريخياً إيران شيعية، لماذا لم تخشَ السعودية من الإمبراطور بهلوي، شرطي أميركا في المنطقة، الذي ما كان يخشاه أحد عندما كان يرفع علم «إسرائيل»؟ لكنّ الخشية استنفرت لديهم بعد رفع العلم الفلسطيني في سماء طهران.

تحاول الفتنة السعودية اليوم تقسيم العالم الإسلامي بإسراعها إلى إغلاق السفارة الإيرانية وسحب بعثتها الديبلوماسية من طهران، إلى شطرين وهذا ما كان ليحدث في التاريخ.

هي تؤدي مهمّة جديدة بعد إغلاق الملف النووي الإيراني، الذي حاولت «إسرائيل» نسفه غير مرة وباءت محاولاتها بالفشل، لمنع استكمال تنفيذه حتى النهاية. ولأنّ الاعتراف العالمي بدور إيراني أساسي في المنطقة، يقضّ مضجع «إسرائيل».

كتب بنو عبد الوهّاب في السعودية، بقتلهم للشيخ النمر، الحروف العريضة في شهادة وفاة نظامهم، فها هي بريطانيا تنتقدهم وكذا أميركا وتستاء ألمانيا لنقضهم وعدهم لها بعدم قتله. هم يريدون إشعال حرب طائفية على مستوى العالم الإسلامي.

الوساطة الروسية وإرسال الأمين العام للأمم المتحدة وهو الذي وصل استياؤه من الحدث حده، المبعوث دي ميستورا إلى طهران والسعودية، للتعقل في ردود الأفعال، نأمل أن تكون نتائجه إيجابية. أما تباين المواقف العربية فهو المحيِّر.

إلى أين يمكن أن تتطور الأمور؟ هذا رهن الأيام المقبلة.